الافتتاحية

أشعيا ٥٦-٦٦
هوية الكاتب ومعضلات الكتاب

رئيس التحرير

مقدمة

تلقّى بنو إسرائيل كتاب نبيّهم إشعيا بفصوله الستة والستين على أنّه "كلام الله"، وتناقل الأبناء عن الآباء هذا الاعتقاد بتسليم وإيمان لا نقاش فيهما، إلى أن جاء مَن يطرح أسئلة حول النص وتاريخه ومضمونه، ومن ثَمَّ حول واضعه وهويّته ومراميه. ففي سنة ١٨٩٢، وهي تاريخ مفصليّ في مسيرة البحث البيبلي، اكتشفَ الباحث دُوم (Duhm) أنّ هناك نبيًّا ما عاش في أواسط القرن الخامس ق. م.، وقَبْل عزرا ونحميا بقليل، قد يكون هو محرّر الفصول ٥٦–٦٦ من سفر أشعيا، سمّاه الباحث المذكور "أشعيا الثالث". قبل هذا التاريخ، كان علماء الكتاب المقدس، يهودًا ومسيحيّين، يعتبرون أنّ الفصول المذكورة هي على ارتباط وطيد بالفصول التي تسبقها، كما كان الباحثون المحافظون ينسبون مجمل سفر أشعيا إلى النبيّ الذي يحمل هذا الاسم، والذي عاش في القرن الثامن ق. م.؛ أما الأكثر تحرّرًا فكانوا يعتقدون أن أش ٤٠–٦٦ هي وحدة مستقلة، وضعها نبيّ آخر مجهول الاسم، ودعوه "أشعيا الثاني".

خرج دُوم (Duhm) إذًا عن التقليد، عندما أطلق نظريّته القائلة بوجود "أشعيا ثالث" في سفر أشعيا، وتبعه في جديده هذا لِتّمَن (Littman) وتْزِلِسِّن (Zillessen) اللّذَان وافقَا على أن أش ٥٦–٦٦ هي لمؤلّف واحد عاش في القرن الخامس ق. م.، ولكن هذا التأكيد فتح الباب واسعًا أمام جدالات لا نهاية لها، دون الوصول إلى اتّفاق حول هويّة واضع هذه الفصول، وتاريخها، ومعضليتها، وبنيتها[١].

١– جدل حول هوية المؤلّف

تتمحور النظريات الباحثة عن هويّة مؤلّف أش ٥٦–٦٦ حول أربع:

أ– بالنسبة إلى البعض، تنتمي الفصول ٥٦–٦٦ إلى أشعيا الثاني ذاته، الذي لم يُنْهِ نشاطه النبويّ في بابل، بل عاد إلى أورشليم، حيث كان عليه أن يواجه معضلات جديدة، طقسية واجتماعيّة، خاصة لدى معاصريه الذين لم يشهدوا بأيّ شكل من الأشكال الخلاص العجيب الذي بشّرت به الفصول ٤٠–٥٥؛ هذا ما يفسّر وجود اختلاف بين ٤٠–٥٥ و٥٦–٦٦، اختلاف لا ينبغي المغالاة فيه. هذا ما توصّل إليه العديد من الباحثين، مثل جْلاَن–كُلِر (Glahn - Köhler)[٢]، وبانْوِل (Banwell)[٣]، وغيرهم. أمّا تورّاي (Torrey)، وهو أحد المدافعين عن وحدة أش ٤٠–٦٦، فهو يعيد مؤلّفَ هذه الفصول إلى حوالى نهاية القرن الخامس.

(١) K. Pauritsch, *Die neue Gemeinde*, AnBib 47 (Roma 1971) 8-30.

(٢) L. Glahn - L. Köhler, *Der Prophet der Heimkehr-Jesaja* 40-66 (Giesen 1934).

(٣) B.O. Banwell, «A Suggested Analysis of Isaiah XL-LXVI», *Exprim* 76 (1964/65) 166.

ب- ويرى آخرون أنّ مؤلّف ٥٦-٦٦ هو "تلميذٌ لأشعيا الثاني"، طبّقَ أقوال معلّمه على الظروف الجديدة الناتجة عن المنفى، ممّا يمكّن هكذا من تفسير التشابهات والاختلافات بين ٤٠-٥٥ و٥٦-٦٦. هنا أيضًا، لا تلتقي الآراء بالتمام حول زمن نشاط أش الثالث، وحول عدد المقاطع التي ينبغي أن تُنسَب إليه. مع هذا، وبشكل عام، يتبع هذا الرأيَ عددٌ من الباحثين، وفي مقدمهم بُنّار (Bonnard)[٤].

ج- ويعتقد دُوم (Duhm) أن المؤلِّف قد يكون نبيًّا من القرن الخامس، وبالتالي بعيدًا عن أشعيا الثاني، وذا عقليّة مختلفة جدًّا.

د- أخيرًا، يزداد عدد الباحثين الذين ينكرون على أش ٥٦-٦٦ وحدة الموضوع والأسلوب. يحملهم اختلاف الأوضاع والاهتمامات، والأنواع والأساليب الأدبيّة، على أن ينسبوا هذه الفصول إلى عدّة مؤلّفين. ولقد شاع هذا الرأي بعد بضع سنوات على نشر دُوم (Duhm) تفسيره (سنة ١٨٩٥ ثم ١٨٩٦)، وهو المسيطر حاليًا ولكن المسألة لم تُحْسَم بعد نهائيًّا.

٢ - معضلات الفصول ٥٦-٦٦

يظنّ معظم الباحثين إذًا أنّ أش ٥٦-٦٦ قد وُضِع ما بين القرنَين السادس والخامس ق. م.، ممّا يعكس وضعًا سياسيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا هو نتيجة المنفى والعودة منه، وما صادفه العائدون من أوضاعٍ صعبةٍ وطارئة. بالتالي، يمكن الاعتقاد أنّ المسألة في أشعيا ٥٦-٦٦ هي التالية:

حماسٌ في البداية لدى العائدين من المنفى إلى أرض الوطن، تبعتها خيباتُ أملٍ متتالية، وتوتّراتٌ بين العائدين من المنفى وبين الذين لم يُسبَوا وتمكّنوا من البقاء في اليهوديّة، وقلقٌ من استمرار السيطرة الفارسيّة وتَوقٌ إلى التحرّر منها، مُرْفَقٌ بأملٍ بأنّ الله سيخلّص شعبه بطريقة نهائيّة. كلّ هذا نعرفه من سفرَي حجّاي وزكريا، ونجده مؤكّدًا في بعض نصوص أش ٥٦-٦٦؛ لكن من الصعب الاستنتاج أكثر من ذلك عن هذا الأمر. هكذا يُفسَّر الاختلاف الكبير في شرح هذه الفصول، وفي البحث عن الأسباب التي دفعت إلى تحريرها.

من أجل إثبات ذلك، وعلى سبيل المثال، نعرض بالإيجاز **خلاصات بعض الدراسات** في هذا المجال:

- يرى كارل بَاوْرِيتْش[٥] أنّ أصل أش ٥٦-٦٦ كان كما يلي: في السنوات التي تلت المنفى، أرسلت جماعة مستقرّة في بابل مبعوثين إلى أورشليم للتشاور حول إمكانيّة انتسابها إلى الجماعة الأمّ في صهيون؛ تلقّى المبعوثون، وهم "الغرباء" و"الخصيان"، رفضًا من قبل الكهنة، فخلق هذا الرفض لدى هاتين الفئتين شعورًا بالإحباط، يُضاف إلى عدم تحقيق الوعود التي كان قد أعلن أشعيا الثاني عنها، وما نتج عن ذلك من خيبة أمل في النفوس. لكنّ نبيًّا ما وقف في وجه قرار الكهنة وأطلق قولاً نبويًّا قويًّا نجده في أش ٥٦: ٣-٧. وبينما كان هذا النبيُّ يخلق فيهم الوعيَ بأنّهم شعب الله، كان يسعى في الوقت ذاته إلى أن يُغذّيَ فيهم الرجاء، أي موقفًا جديدًا عامرًا بالأمل؛ لذلك، جمع عدّة تَنَبُّؤات كانت متناقلة شفهيًّا أو كتابيًّا ما بين السنتين ٥٢١ و٥١٠، وحرّر كتابه، أي أش ٥٦-٦٦، الذي يبقى موجّهًا إلى جماعة بابل.

- أمّا بُنّار[٦] الذي ينسب كلّ نبوءات أش ٥٦-٦٦ إلى تلميذٍ ما لأشعيا الثاني، فيسعى إلى فهم هذه الفصول عن طريق وَضْعِها في مجمل معضلات السنوات ٥٣٧-٥٢٠ ق. م.؛ من هنا يمكن تمييز أربع فئات رئيسيّة من الأشخاص: اليهود العائدون من المنفى، والذين بَقَوا في اليهوديّة، والغرباء، ويهود الشتات. إنطلاقًا من كلّ هؤلاء، ومن دون استثناءِ أيٍّ منهم، سعى أشعيا الثالث إلى بناء جماعة من الناس الأبرار والمقبولين من الله؛ لكنّ دعوته إلى التوبة اصطدمت بأربعة عوائق: الشكّ الذي أثاره تأخّر الخلاص النهائيّ الذي كان قد بشّر به أش ٤٠-٥٥، وفساد عبادة الأصنام، والانقسام بين الإخوة الذي انعكس بغضًا ومظالم في ما بينهم، والخطر من احتقار الجماعة للغرباء. تُساعد الفئات الأربع والعوائق الأربعة على فهم رسالة أش ٥٦-٦٦ في مجملها.

- أمّا هَنْسُن[٧]، من جهته، فقد ركّز على المسألة بطريقة مختلفة، معتبرًا أنّه من المحال الاهتمام إلى هذه الدرجة بمسألة المؤلِّف، علمًا أنّه شخصيًّا يقبل بمبدأ تعدّد المؤلّفين. المهمّ بالنسبة إليه هو فَهْمُ العمق التاريخيّ لهذه الفصول، إذ يتبيّن فيها هَنْسُن وجودَ جماعة تشجّع على مثاليّة إسكاتولوجيّة، على انسجام تامّ مع تأكيدات أش ٤٠-٥٥؛ هو يحذّر بالتالي من وجود عنصر جدليّ، يذهب من الشجب اللطيف (٦٤: ٧) حتّى الهجوم الأقصى (٥٧: ٣ي). من خلال كلّ هذا يمكن اكتشاف وجود

(٤) P.-E. Bonnard, *Le second Isaïe. Son disciple et leusr éditeurs, Isaïe 40-46:* EtB (Paris 1972).
(٥) K. Pauritsch, *op. cit.*
(٦) P.-E. Bonnard, *op. cit.*
(٧) P. D. Hanson, *The Dawn of Apocalyptic* (Philadelphia 1975); «Tritoisaiah», pp. 32-208.

فريقين كبيرين يهوديّين: من جهة أولى، الكهنوت الصادوقيّ الذي يراقب الطقوس الرسميّة، ويهيمن على السياسة، ويساير الأمبراطوريّة الفارسيّة، وهو فريق واقعيّ، مناهض للإسكاتولوجيّة، ومستعدّ أن يذهب إلى الأمام أبدًا مع امتيازاته. مقابل هذا الفريق، يمثّل تلاميذ أش ٤٠–٥٥ فريقَ المعارضة، صاحب الذهنيّة الأكثر "ديمقراطيّة"، مع كهنوتٍ يشمل كلّ المؤمنين، ومنفتح على الغرباء، لكن دون مسايرة للأمبراطوريّة الفارسيّة؛ إنّه قبل كلّ شيء فريق إسكاتولوجيّ بوضوح، ينتظر مجيء الله ويتوق إليه. من هاتين الذهنيّتَين نتج أش ٥٦–٦٦.

إنّ **تكوُّنَ أش ٥٦–٦٦** هو إذًا كالتالي:

تتكلّم النصوص الأولى على جماعة مثاليّة، كما تصوّرها تلاميذ أش ٤٠–٥٥ (٦٠–٦٢؛ رج ٥٧: ١٤–٢١)؛ لكنّ هذا المثالية تعرّضت لخطر المعارضة (٦٣: ٧–٦٤: ١١)، ممّا تسبّب بتنامي التوتّر داخل الجماعة اليهوديّة (٥٨: ١–١٢؛ ٥٩: ١–٢٠). كان الانقسام يتزايد باستمرار ويضاعف روحَ الانتقام. هكذا نشأت الإسكاتولوجيّة الأبوكالبتيّة (٦٥: ١–٢٥). وهناك خطوة جديدة إلى الأمام تمثّلت في الجَدَل حول بناء الهيكل، وحول الشعور بالاستبعاد من الطقوس الرسميّة (٦٦: ١–١٦)، الذي يفتح الطريق لصراعٍ أكثر حدّة (٥٦: ٩–٥٧: ١٣). وفي حين كان الفريق الكهنوتيّ يتحالف مع الفرس ويعتبرهم أسيادًا، كان الفريق النبويّ يذكّر بالانتصار النهائيّ للربّ على كلّ الشعوب (٦٣: ١–٦).

٣ – بنية أش ٥٦–٦٦

هنا أيضًا لا اتّفاق بين المفسرين حول بنية أش ٥٦–٦٦[٨]؛ فهناك فريقٌ عديدٌ إلى حدّ ما يعتقد أنّ أش ٥٦–٦٦ قد تكوّنت انطلاقًا من سلسلة نبوءات مستقلّة جُمعت من دون أي مقياس، لا من حيث الموضوع ولا من حيث الزمن؛ فلا فائدة بالتالي من البحث عن بُنية شاملة.

يدافع لاك[٩] عن "ترتيب" وحدويّ مبنيّ على مجموعات متوازية تنتهي في كلّ حال بأن تكوّن وحدتَين رئيسيّتَين: ٥٦–٥٨+ ٦٥–٦٦، وتسيطر عليهما لوحة **الخروج**، ثمّ ٥٩–٦٤ التي تسيطر عليها فكرة **العدل والخلاص**. من الصعب إيجاز تحليل لاك في أسطر قليلة، عِلمًا أنّه لا يحصر بحثَه بموازاة كلاميّة وحسب، وذلك لكي يبحث عن بُنًى أنتروبولوجيّة مخبوءة في النص.

استعمال أش ٥٦–٦٦ في العهد الجديد[١٠]

لدينا في العهد الجديد كَمٌّ ليس بقليل من الاستشهادات بأش ٥٦–٦٦، ولكننا، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نكتفي بإدراج الاستشهادات الصريحة بأش ٥٦–٦٦، تاركين جانبًا التلميحات الأقلّ وضوحًا[١١]:

أشعيا	العهد الجديد
٥٦: ٧	مت ٢١: ١٣؛ مر ١١: ١٧؛ لو ١٩: ٤٦
٥٧: ١٩	أف ٢: ١٧
٥٩: ٧–٨	روم ٣: ١٥–١٧
٥٩: ١٧	أف ٦: ١٤ و١٧؛ ١ تس ٥: ٨
٥٩: ٢٠ي	روم ١١: ٢٦–٢٧
٦١: ١–٢	لو ٤: ١٨–١٩
٦١: ١	مت ١١: ٥؛ لو ٧: ٢٢
٦٢: ١١	مت ٢١: ٥
٦٤: ٤	١ كور ٢: ٩
٦٥: ١–٢	روم ١٠: ٢٠–٢١
٦٥: ١٧	٢ بط ٣: ١٣
٦٦: ١	مي ٥: ٣٤–٣٥
٦٦: ١–٢	أع ٧: ٤٩–٥٠
٦٦: ٢٤	مر ٩: ٤٨

بالطبع، ليس لكلّ الاستشهادات القيمة ذاتها؛ ففي حالات عديدة، يجري البحث عن أفكار تركت أثرًا على القرّاء المسيحيّين؛ مثلاً: "الهيكل هو بيت صلاة" (٥٦: ٧)، و"السماء هي عرش الله والأرض موطئ قدميه" (٦٦: ١)، و"الدود والنيران للمحكومين لا تموت ولا تطفأ" (٦٦: ٢٤). أحيانًا يفيد نصّ أش كمقدّمة لكلام نبويّ آخر، كما يحصل مع أش ٦٢: ١١، الذي يستعمله مت ٢١: ٥ ليقدّم لـ زك ٩: ٩.

---

(٨) لويس خليفة، **اللاهوت والتفسير البيبلي الحديث–٢: تأويل العهد القديم**، سلسلة بيبليات ٤، لبنان ١٩٩٦، ص٧٧.

(٩) R. Lack, *La symbolique du livre d'Isaïe*: AnBib 59 (Roma 1973) 121-145.

(١٠) لويس خليفة، المرجع ذاته، ص ٧٩–٨١؛ W.C. Hofheinz, *An Analysis of the Usage and Influence of Isaiah Ch. 40-66 in the New Testament*, University of Colombia 1964.

(١١) مثلاً، تقدمة الذهب والبخور واللبان إلى الطفل يسوع (مت ٢: ١١) تذكّر بالتأكيد بأش ٦٠: ٦. نقاط الالتقاء بين مقاطع عدّة من أش ٥٦–٦٦ والعهد الجديد هي عديدة، كما يحصل مع كل الكتب النبويّة تقريبًا.

هناك أيضًا بعض الاستشهادات الهامّة من أش في العهد الجديد وهي التالية:

أ- الالتزام المبرمج في أش ٦١: ١-٢ في لو ٤: ١٨-١٩، عندما قرأ يسوع هذا النصّ في مجمع الناصرة، وطبّقه على ذاته، بعد أن حذف الجملة النهائيّة حول الانتقام[١٢]. ضمن هذه الآيات أثارت فكرة "إعلان البشرى الطيّبة للمساكين" تأثيرًا خاصًّا، كما هو بيّن من ذكرها في مت ١١: ٥ ولو ٧: ٢٢.

ب- الاستعمال الذي يقوم به إسطفانوس في أع ٧: ٤٩-٥٠ لـ أش ٦٦: ١-٢. ويواصل المفسّرون التساؤل إذا كان نصّ أشعيا يشجب بناء هيكلٍ انفصاليٍّ في جريزيم أو إعادة بناء هيكل أورشليم (بين السنتين ٥٢٠-٥١٥). بالنسبة إلى واضع أعمال الرسل هو واضحٌ أنّ الكلام يجري على هيكل أورشليم، ويعدّل النصّ ليبيّن أنّ الله لن يسكن فيه (رج أع ٧: ٤٨).

ج- تطبيق صورة المحارب الإلهيّ على كلّ مسيحيّ (قارن أش ٥٩: ١٧ مع أف ٦: ١٤ و١٧؛ ١ تس ٥: ٨).

د- استعمال روم ١٠: ٢٠-٢١ لـ أش ٦٥: ١-٢. يطبّق بولس النصّ على الوثنيّين، بينما يتعلّق النصّ الأصليّ بدون شكّ باليهود الذين يعبدون الأصنام. في كلّ حال، بالرغم من أنّ المعنى الحرفيّ ليس الذي يدّعيه بولس، تتناسب كلمات النبيّ تمامًا مع ما يريد هو أن يعبّر عنه. يمكننا قول شيء مماثل عن استعمال أش ٥٧: ١٩ في أف ٢: ١٧: بالنسبة إلى النبيّ، يمثّل "البُعداء" و"الأقرباء" يهودَ الشتات ويهودَ اليهوديّة؛ بالنسبة إلى واضع رسالة أفسس، بالمقابل، المقصود هم تباعًا الوثنيون واليهود.

خاتمة

بعد هذه الجولة التي لا بدّ منها لمقاربة أش ٥٦-٦٦، وللاطّلاع على ما اجتهد الباحثون في حلّه من معضلات ومسائل تتعلّق بهذه الفصول، يمكننا القول بأنّ دراسة النصوص أدبيًّا وتاريخيًّا ومضمونًا ينبغي أن تتواصل إلى أن يتبيّن بوضوح أكبر مرمى الكاتب وغايته، وبالتالي رسالةُ النصّ وتعليمُه.

(١٢) P. Grelot, «L'exégèse messianique d'Isaïe LXIII 1-6», *RB* 70 (1963) 371 -380; U. Busse, *Das Nazareth-Manifest Jesu*, SBS 91 (Stuttgart 1978).

مراجع

لويس خليفة، اللاهوت والتفسير البيبلي الحديث - ٢: تأويل العهد القديم، سلسلة بيبليات ٤، لبنان ١٩٩٦، ص ٧٩-٨١.

BANWELL B.O., «A Suggested Analysis of Isaiah XL-LXVI», *Exprim* 76 (1964/65) 166.

BONNARD P.-E., *Le second Isaïe. Son disciple et leurs éditeurs, Isaïe 40-46,* EtB (Paris 1972).

BUSSE U., *Das Nazareth-Manifest Jesu*, SBS 91 (Stuttgart 1978).

GLAHN L. - KÖHLER, *Der Prophet der Heimkehr-Jesaja* 40-66 (Giesen 1934).

GRELOT P., «L'exégèse messianique d'Isaïe LXIII 1-6», *RB 70* (1963) 371 - 380.

HANSON P. D., *The Dawn of Apocalyptic* (Philadelphia 1975); Tritoisaiah, pp. 32-208.

HOFHEINZ W.C., *An Analysis of the Usage and Influence of Isaiah Ch. 40-66 in the New Testament*, University of Colombia 1964.

LACK R., *La symbolique du livre d'Isaïe*, AnBib 59 (Roma 1973).

PAURITSCH K., *Die neue Gemeinde*: *Gott Sammelt Ausgestossene und Arme (Jesaja 56-66)*, AnBib 47 (Roma 1971).

SMART J.D., Hisroty and Theology in Second Isaiah. A Commentary of Isaiah 35, 40-66 (Philadelphia 1965).